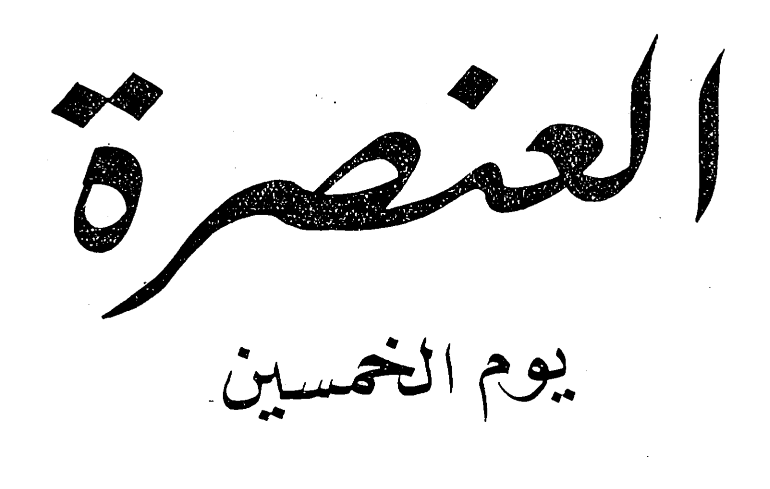
رسالة بيت التكريس
بحلوان



يونيــة ١٩٦٠
السنة الثانية لإعتلاء البــابا كيرلس
الســادس كرسي الكرازة المرقسيه
لتكن أيامه سعيدة

الثمن ٥

تصرف الحصيلة لخدمة البيت

محتويات الرســـــالة

العنصرة

أولا — فى معنى العنصرة

أصل الـكلمة (١)

كلمة العنصرة كلمة عـبرية أصيلة ، وهى ليست أراميـة ولا سريانيـة ؛ وهى تستعمل فى العبرية الحديثة فيما كانت تستعمل فيه فى العـبرية القديمة تماماً . وأصل الـكلمة « عَسَار » ومنها كلمة « عَسَريت » التى جاءت منها كلمة العنصرة . والـكلمة « عسار » معناه اجتمع أو جمع ، حيث كانوا يجتمعون ويعيـدون فى هذا العيد . وهى تأتى أيضاً بمعنى منع أو امتنع لأنه يمنع فيه العمل لأنه يوم مقدس .

وعيـد العنصرة عند اليهـود هو «عيد الأسابيع» أو «عيد الحصـاد» أو «عيـد الخمسين» . وعيد الأسابيع ترجمته العبرية «هجشبعوت» . حيث حاج بمعنى عيد، وشبعوت = السبوعات أى الأسابيع . ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود « عَسَريت » ، أما عيـد الحصـاد فترجمته العـبرية «حاج هفصير» حيث «هفصـير» هو الحصـاد وأطلق على هذا العيـد فى الترجمة اليونانية للتوراة كلمة « بنتيكستى » أى الخمسين .

والـكنيسة اسـتعارت هذه الـكلمة (العنصرة) كما هى وأطلقتها على عيـد حلول الروح القدس . ولأنه يقع فى اليـوم الخمسين من قيـامة الرب فهى تسميه أيضاً بعيد «البنتيكسى» أى عيد الخمسين .

---

(١) Dictionnaire de Maleh

وكلمة العنصرة تشير فى أصل اشتقاقها اللغوى إلى الجمع او الحفل ، لذلك فالكنيسة محقة أيضاً فى جعل إسم العنصرة وقفاً على هذا العيد بالذات ، لأن فى هذا اليوم تقدّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً ، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة ، لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا . . .

لا عجب إذن أن تعيد الكنيسة عيد العنصرة ، هو عيدها .

وهي لاتغفل فى عيدها هذا أن تصلى مع الكنيسة المنتصرة أختها التى فى السماء ، فترفع فى هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح المنتقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة ، لأنها ترى فى ذلك كمال التعييد !

* * *

فى سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الانسان من تراب الأرض ؛ خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله . . . وقصة سقوط الانسان فى المعصية وانغلابه للشر والخطية ، وسريان حكم الموت فى كيانه الانسانى قصة تحوى من الأسرار العميقة شيئاً لا يستهان به ، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح فى مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك ، . . . ولكننا نعلم على كل حال أن الانسان الأول أنسل نسلا بعد قبوله الموت فى كيانه نتيجة لخطيته ، وبذلك صار كل بنى آدم فى الخطيّة يولدون وبالخطية يموتون . . .

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت . . .

لأنه « هو نفسه حمل خطايانا فى جسده على الخشبة لكى يموت عن الخطايا لنحيا للبر »(١) . . .

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت « لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية »(٢) وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى ؛ ولكن ظلت فى حاجة إلى قوة جديدة تحفظها ، وإلى عمل إلهى جديد يرفعها إلى مستوى القداسة

---

(١) ابط ٢ : ٢٤ — (٢) رو ٦ : ١٠

اللائقة بحياة الشركة مع الله . . . « لكى لا يعيش (الانسان) أيضاً الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لارادة الله »[1] .

فى يوم الخمسين من موت الرب وقيامته تقبلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة، تقبلتها بصورة ظاهرة، فحل الروح القدس على التلاميذ جهاراً بصوت مسموع ومنظر أخاذ، ودخل وملأ الطبيعة البشرية فجدد خلقتها وقوّاها ورفع من مستواها الروحى بشكل عملى إعجازى فائق، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد . . .

فى يوم الخمسين حدث فعل خلقى جديد فى طبيعة الانسان، ظهرت مفاعيله فى سلوك التلاميذ وفى إمكانياتهم وفى لغتهم وفى مفهوماتهم وفى علمهم الأمر الذى حير رؤساء الكهنة والحكام؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجىء الشديد على التلاميذ، بل المدهش حقاً أنه إنتقل إلى كل من آمن واعتمد وقبل وضع اليد، حتى فهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكميليا لأعمال الخليقة الأولى . . . لذلك نرى أن يوم الخمسين أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهريا من حيث خلقة الانسان . . .

فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ فى طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس ...

وحينما نتأمل فى الوضع الذى كمل فيه هذا العمل الخلقى الجديد ندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلقة آدم الأولى، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومريم أم يسوع»[2] فى حالة خشوع وصلاة، إذن فطبيعة الانسان استقبلت خلقتها الروحية الجديدة على صورة كنيسة !!!

هذا معناه أن ميلاد الانسان الجديد محصور فى ميلاد الكنيسة، وطبيعة الانسان الجديدة لابد وأن تشمل فى صميم جوهرها إرتباطاً حياً وصلة وثيقة بالكنيسة ... لاتوجد فردية فى الخليقة الجديدة !!

نحن نأخذ طبيعة الانسان الجديد من الكنيسة، وليس يمكن لأحد أن يولد من الماء والروح ويصير خليقة جديدة فى المسيح يسوع خارج الكنيسة ..

(١) ابط ٤ : ٢ — (٢) أع ١ : ١٤

العنصرة إذن عيد الكنيسة ، هو ذكرى ميلادها . . .
ميلاد الكنيسة ليس قصة ، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس .

نحن نحيا فى ميلاد كنيستنا ، نحيا فى طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح والروح .

العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً فى المسيح . . .

ثانياً — فى مظهر العنصرة

استعلن الروح القدس فى يوم الخمسين فى مظهرين ، مظهر ريح عاصف ومظهر ألسنة كأنها من نار . . .

« ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصف وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم [(١)] » .

(ا) معنى الريح فى المفهوم اللاهوتى

مما يلفت النظر فى اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لهما كلمة واحدة تعبر عنهما ، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح فى الاشتراك اللفظى فقط ، بل نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس فى الاصحاح الثالث من إنجيل يوحنا أن هناك تشابهاً بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة الميلاد الجديد من الماء والروح :

« الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب هكذا كل من ولد من الروح » .

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقروناً بهبوب رياح عاصفة فمثلاً فى سفر أيوب نقرأ هكذا «فأجاب الرب أيوب من العاصفة»[(٢)]

وفى المزمور الخمسين نقرأ « يأتى الهنا ولا يصمت ، نار قدامه وحوله عاصف جدا »[(٣)]

---

(١) اع ٢ : ١و٢و٣ (٢) اى ٢٨ : ١ (٣) مز ٥٠ : ٣

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك « الرب فى الزوبعة وفى العاصف طريقه »[1] وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب « من وسط النار والعاصف »[2] وايليا أيضاً لم يواجه الله الا بعد عبوره فى الريح العاصف « وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب »[3]

أما فى سفر حزقيال فنعثر على عمل الريح والروح معا فى اصطلاح واحد يعبر تعبيراً عن وحدة سرية فى المفهوم اللاهوتى بينهما إذ يقول النبي « فقال لى تنبأ للروح تنبأ ياابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا »[4] فمع أن الهبوب هو من طبيعة الريح الا أننا نجده هنا من عمل الروح أيضا . . . .

من ذلك نستطيع أن نكون فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذى اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين ، فهو فى الواقع تعبير عن حضور الله ، هو اشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس ، وبالأخص قول الكتاب عنه :

« صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة » .

فهو ريح سمائى ... نقرأ عنه فيما بعد أنه ملأ البيت ثم ملأ جميع الحاضرين فى البيت . . . إذن فهو روح مالىء للمكان والزمان والكيان ، الله وحده هو الذى يملأ المكان والزمان والكيان . . . .

لذلك نجد فى هذا الريح السمائى الحاضر فى المكان والمالىء الكل حضوراً آلهياً وإنما على نمط جديد ؛ ففى العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حلّ فيها الروح ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً ، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر فى الطبيعة البشرية آنذاك تأثيراً عاماً مولّداً كما حدث يوم الخمسين وصار ينتقل إلى كل من يعمّده التلاميذ ويضعون عليه اليد . . . .

الروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملاهم كما يملأ الريح

---

(١) نا ١ : ٣ (٢) تث ٥ : ٢٢و٢٣ (٣) ١مل ١٩ : ١١
(٤) حز ٣٧ : ٧

المكان ؛ لأن حجاب الخطية التي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح رفعه المسيح إلى الأبد . . . .

(ب) معنى النار فى المفهوم اللاهوتى

لو رجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله فى الرياح العاصفة نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً . . . . لذلك فمعنى إقتران الريح بألسنة النار فى يوم الخمسين أمر ذو بال من حيث المعنى اللاهوتى . .

ولكننا نجد فى النار تعبيراً أقوى عن شيء ما فى طبيعة الله ، حتى قيل مرَّة : إن « الهنا نار آكلة » (١) بل ورأينا النار المشتعلة فى العليقة تعبيراً مباشراً عن حضور الله ؛ والتقليد يحدثنا عن نار العليقة أنها تعبير واقعى عن طبيعة اللاهوت . . .

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله فى عمود النار ليلاً فى محلة الاسرائيليين وإستجابة الرب من السماء بنار على ذبائحه المقبولة ، وحضور الله فى هيكل سليمان يوم تدشينه على هيئة نار ، كل هذا يوجه فكرنا إلى معنى ألسنة النار المنقسمة التى ظهرت يوم الخمسين ؛ فهو تعبير عن عمل طبيعة الله يوم الخمسين وإشارة ضمنية إلى طبيعة الروح القدس النارى .

كان التلاميذ المجتمعون فى حالة خشوع وصلاة يقدمون ذبائح شكر من شفاه معترفة بفضل الرب يسوع ؛ فكانت استجابة الرب من السماء كما هو العادة بنار إستقرت على كل واحد منهم ...

كانت النار الآلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها ، لأن الذبيحة كانت تحمل خطايا مقدمها ، ولكن نار يوم الخمسين لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ حملها الرب فى جسده على الخشبه ...

نار يوم الخمسين كانت للانارة والتطهير ... ، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق ، لذلك استقرت عليهم النار على هيئة لسان... واللسان النارى يشير إلى معرفة الحق والنطق به : « متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق »(٢)

---

(١) عب ١٢ : ٢٩ (٢) يو ١٦ : ١٣

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين ، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي فى طبيعة الانسان الواحدة ...

أما النار الالهية فنجدها تنقسم وتتوزع على كل واحد منهم بمفرده توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد فى الادراك والايمان ...

إذن فالطبيعة البشرية تتجدد بالتساوى ، اما المواهب فتمنح بتقسيم وامتياز وتفاوت ...

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الاستنارة فى معنى المظهر النارى للروح القدس ، فنحن لازلنا نرى فى ألسنة الروح القدس النارية التى استقرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب محبة الله الملتهبة فى قلوب التلاميذ ، وتقبل روح الغيرة المتأججة نحو الله «غيرة بيتك أكلتنى»[1] وتعبيراً عن سريان النار الالهية فى طبيعة الانسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دائمة الاحتراق «من أجلك نمات كل النهار حسبنا كغنم للذبح»[2]

نار يوم الخمسين كانت نار الله ، أنارت فكر الكنيسة بالحق والهبت قلب الانسان الجديد بالحب الالهى والغيرة والبذل .

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية فى طبيعة الله النارية يوم الخمسين ، ومن هذه الطبيعة ولد الانسان الجديد .

الكنيسة إستوعبت فى يوم الخمسين نار الله فأخصبتها هذه النار وقدستها وهى تعطى أثرها الآن لكل المولودين منها ...

لسنا فى حاجة من جديد إلى ألسنة نارية كيوم الخمسين ، لأننا لسنا أماً بل نحن أولاد ؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة ؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة ...

الكنيسة أمٌ روحانية خلقها المسيح وأظهرها فى العالم حديثاً بتجسده وأخصبها بالروح القدس يوم الخمسين ، وهى الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها «المقدسة» المخصبة بنار الله : «ان قدرته الآلهية قد وهبت لنا ما هو للحياة

---

(١) مز ٦٩ : ٩ — (٢) رو ٨ : ٣٦

والتقـوى ... لـكى تصيروا بهـا شركاء الطبيعة الآلهية »[1] نار يوم الخمسين هى من قدرة الله ، هى قوة فائقة من عند الله جاءت فقدست الانسان ...

التقديس هو اشـتراك فى طبيعة الله « صرنا شركاء الطبيعة الالهيـة » ، « كونوا قديسـين لأنى أنا قدوس »[2] ، التقـديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلا ناريا ، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من اختصاص الروح القدس ! ! !

الروح القدس . . . يقدِّس . . .

الروح القدس سبق فقدس بطن العذراء ليتصور المسيح فيها ويولد .

وفى يوم الخمسـين قدس الطبيعة البشرية ككنيسـة ليتصور فيها إنسانـنـا الجديد حسب يسوع المسيح ويولد .

نحن نولد من بطن كنيسة تقدست « بنار الله » بالروح القدس .

أليس هذا ما وعـد به سابقاً « هو سيعمدكم بالروح القـدس ونار »[3] .

حينما نعتمد الآن فى الـكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا « مقدسة » .

أليس هذا هو لقبها الأول :« كنيسة مقدسة جامعة رسولية أرثوذكسية » .

الـكنيسة اعتمـدت « بالروح القـدس ونار » ، وأما نحن فنـولد من معموديتها « بالماء والروح »[4] . . .

النـار تحرق كل حيـاة أرضية وتبيـدها ، لذلك إذا هى اقترنت بالروح القدس « روح القـدس ونار » تعنى حتما حيـاة إلهية محضة خالية من كل ما هو أرضى . . هذه هى طبيعة الـكنيسة ، إلهية فى كل شىء وبكل معنى ، خالدة . . .

أما الماء فهو يحيى كل ما على الأرض ، ولا شىء يمكن أن يحيا على الأرض بدون ماء ! ! لذلك حينما يقترن المـاء بالروح القـدس فهو يعنى حياة بشرية على الأرض ولـكن حسب الله ! ! . . وهذه هى طبيعة كل من يولد من الـكنيسة : يحيا على الأرض ولـكن « ليس حسب الجسد بل حسب الروح »[5] .

---

(١) ٢ بط ١ : ٣و٤ (٢) ١ بط ١ : ١٦ (٣) مت ٣ : ١١
(٤) يو ٣ : ٥ (٥) رو ٨ : ١

ثالثا — فى أقنوم العنصرة

(١) اقنوم الروح القدس

« متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى »(١)

فى كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول، مفاجئة فردية « لروح الرب »(٢)، حينما كان يحل على الأنبياء متكلماً فيهم؛ ولكن لم يكن حلولا أقنومياً؛ بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعله التنبؤى فقط ... لم يكن له فى العهد القديم أثر واضح دائم فى طبيعة الانسان . . .

أما ابتداء من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه، يحل بشخصه كمحيي ومعزى ومبكت . . .

كان يُعرف فى العهد القديم بـ « روح الرب »، أما فى يوم الخمسين فاستعلن اقنومه المتميز «الروح القدس» واستعلنت صفته الخصوصية «الباركليت» (= المعزى) والقديس باسيليوس فى رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا :

[إن إسمه الخاص الذى يكشف عن طبيعته هو « الروح القدس » وهو ينم عن خلوه من معنى المادة خلواً مطلقاً، وعدم تجسده بهيئة ما، كما يكشف ضمنا عن عدم قابليته للانقسام . . والاسم ينص على أنه مصدر التقديس](٣)

أما عن كلمة « باركليت» التى ترجمتها «المعزى» فيقول القديس باسيليوس :

[يدعى الروح القدس « بالباركليت » كما يدعى الابن « بالوحيد »، والمسيح نفسه قال « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » — حيث هنا كلمة « معزى » ترجمة لكلمة « باركليت »](٤)

وفى الحقيقة نجد أن عمل الروح القدس وتعرفنا عليه كأقنوم قد بدأ

---

(١) يو ١٥ : ٢٦
(٢) أش ٦١ : ٦
(٣) Basil, *On the Spirit*, Hom. IX
(٤) Basil, *On the Spirit*, Hom. XIX

قبل يوم الخمسين ، إذ نقرا عنه انه حل على العذراء بصفته الأقنومية لتحمل فى بطنها الأبن متجسداً . . .

ثم نقرأ عنه فى عماد الرب لما حل عليه فى الأردن ليمسحه للخدمة . ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات .

من هذا نتبين العلاقة الوثيقة التى بين الروح القدس والمسيح ؛فسواء قديماً فى النبوات ، أم حديثاً فى الميلاد والعماد والقيامة ، نجد الروح مُعلِناً المسيح ! !

ونحن فى العنصرة لم نستقبل الروح القدس لنتعزى به عوض المسيح ؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح ويهيئنا للاتحاد به ، وهو لا يزال يعمل لهذا ولن يكف عنه إلى الأبد « يمكث معكم إلى الأبد » . « لا يتكلم من نفسه . . . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . »

فغاية الروح القدس هى أن يعرفنا المسيح ؛ كما أن غاية المسيح أن يعرفنا الآب ؛ فكما أن « ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى (المسيح) » [1] كذلك أيضا « لا يستطيع أحد أن يقول أن المسيح رب إلا بالروح » [2]

إذن فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الابن ؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» [3] ويكون «المسيح حياتنا» [4] ويصير لنا « فكر المسيح » [5] ، «ويحل المسيح بالايمان فى قلوبكم » [6] ، وأن نكون « أعضاء المسيح » « من لحمه وعظامه » [7] . . . غاية الروح القدس فينا هى المسيح . . . أن يشهد فينا له ، وأن يشهد لنا أمام الآب . . . أن يقدسنا فى المسيح ويقدمنا بالمسيح إلى الآب . . . لهذا ولهذا فقط أرسله المسيح من عند الآب ! !

إن الروح القدس هو الاقنوم الثالث ؛ هو الرب المحي ؛ نحبه ونعبده فى شخصه مع الابن والآب بلاهوت واحد .

قلنا : إنه اقنوم العنصرة ، أى الأقنوم الذى استعلن لنا يوم الخمسين بكمال

---

(١) يو ١٤ : ١٦ (٢) اكو ١٢ : ٣ (٣) غلا ٦ : ١٧
(٤) كو ٣ : ٤ (٥) اكو ٢ : ١٦ (٦) افس ٣ : ١٧
(٧) افس ٥ : ٣٠ (٨) اع ١ . ٤

بهائه وضيائه وعظمته . . . روح الحق الذى يعلمنا أن نسجد بالروح والحق ؛ لهذا رتبت الكنيسة الرشيدة المؤيَّدة بالروح القدس أن تكون صلوات عيد العنصرة والجميع سجوداً « ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له ، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » [١].

جميع الناس يسجدون لله ولكن قليلين من يسجدون لله بالروح والحق !

الكنيسة تعيد للعنصرة وهى ساجدة إكراماً للاقنوم الثالث الذى علمنا الحق!

العنصرة عيد السجود لله بالروح والحق . . .

(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن :

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى » [٢]

لسنا فى صدد بحث لاهوتى ؛ ولكن قول المسيح « أرسله أنا إليكم من الآب » أجبرنا ان نتتبع المعنى اللاهوتى فى كلمتى « الانبثاق » و « الارسال » .

لو تعمقنا معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث كانبعاث النور من مصدره أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة ، حتى ان كلمة « انبعاث » فى الأصل العبرى تحمل تماماً معنى « الانبثاق ».

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس فى إحدى رسائله عن الروح القدس فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا : [الروح القدس الذى من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرك إلا متصلاً به ، أما كيانه فيأخذه من الآب الذى ينبثق منه...الابن هو الذى يعلن الروح القدس ؛ الروح القدس ينبثق من الآب فى الابن ... الروح القدس يستعلن فى الابن وبه] [٣].

---

(١) يو ٤ : ٢٣و٢٤ (٢) يو ١٥ : ٢٦

(٣) *Basil Letters*, XXXVIII, LII

وقــول القديس باسيليوس ينير عقلنا جــداً وخصوصاً فى جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن ان يكون من الآب والابن إذ جعل الانبثاق فعلاً غائياً أى له غـاية ، وغـايته تنصبُّ فى الابن : منبثـق من الآب فى الابن .

إذن لا يمـكن ان يكون منبثقاً من الآب والابن وإلاّ لزم ان يكون منبثقاً منهما فى آخر أو إلى آخر ، ومن يكون هذا الآخر ؟

لا يمكن أن يكون العالم أو الانسان ، لأن هذا معناه : إما أن يكون العالم أو الانسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق ! وإما أن الانبثاق نفسه — المتعلق بالعالم أو الانسان (الغير أزلى) — هو أيضاً غير أزلى ، وكلا الوضعين خطأ .

أما إذا قيل أن الروح القدس منبثق من الآب والابن إلى لا شيء ، فهنا تصاب كلمة «الانبثاق» بعجز كلى يفقدها معناها ومبناها ، كأن تقول مثلا : إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء ، فالنور إن لم يكن له مايستقبله كيف يدعى نوراً وكيف يقال أنه منبثق ؟

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياة وحب منبثق من الآب ومستقر فى الابن ، معلن فى الابن ومستعلن أيضاً بالابن ؛ وعلى هـذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب ! !

(حـ) ارسال الروح القدس الى الكنيسة

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت فى تجسـد الابن ؛ لأن اتحـاد اللاهوت بالناسـوت هو فى الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسـة (اجتماع الله بالناس) .

لذلك فظهور الله فى جسد إنسان هو أول اسـتعلان لطبيعة الكنيسة ، وتحقيق وجودها عملياً على الأرض .

الروح القدس كان واسطة هذا الاتحاد السرى الذى تم بين اللاهوت والناسوت ؛ فقد تسلمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العليقة نار الله وهى مشـتعلة فيها دون أن تحترق « لأن الذى حبل به

فيها هو من الروح القدس » [١] .

فاذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسى لتيقنا أنه هو هو الكنيسة فى معناها الالهى المطلق ، وما بقى علينا بعد ذلك إلا أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة ، أو كيف نصير نحن كنيسة !

معروف أن جسد المسيح الالهى هو الكنيسة « إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل » [٢].

إذن الاتحاد بالكنيسة يعنى بلا شك الاتحاد بالجسد الالهى ... لايمكن الاتحاد بالجسد الالهى الاّ بتوسط الروح القدس ... ويشترط ان يتم هذا الاتحاد بفعل الايمان ؛ لذلك فهو لايتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرّاً ... إذن فمجيء الروح القدس أمر لازم لاتحادنا بالكنيسة ، واختفاء جسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الاتحاد بالايمان.. . بهذا نفهم قول المسيح : « إنه خير لكم أن أنطلق ؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » . . . [٣]

هذا حق ومنطقى أيضاً أن لا يأتى الروح القدس ليعمل الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة جسد ربنا يسوع قائمة منظورة على الأرض.

كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزى فيرسل معزّياً آخر مساوياً له أى الروح القدس « وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » [٤] لكى بتوسطه يصنع من جسده الالهى السرى الكنيسة الجامعة . . .

رابعاً — فى سر العنصرة

(أو ماذا تمّ بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس) :

لما انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح فى طبيعتهم ؛ بل نستطيع أن نقول أن طبيعتهم تغيرت معالمها تغييراً كلياً ؛ لقد صاروا شيئاً

---

(١) مت ١ : ٢٠ (٢) أفس ١ : ٢٢و٢٣
(٣) يو ١٦ : ٧ (٤) يو ١٤ : ١٦

جديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين . . واصبح التلاميذ المجتمعون فى العلية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك . . .

ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فردياً بل جماعياً . .

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمة حلّت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو منحتهم ألسنة جديدة وشجاعة للعمل كما يظن بعض المحدثين ؛ ولكن كان هذا نتيجة تغيير جوهرى أصاب طبيعة التلاميذ فى صميم كيانها ؛ أما هذه المواهب وهذه التغييرات التى ظهرت على التلاميذ فى حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر ونتائج ثانوية تنبىء بما حدث فى الطبيعة البشرية ممثلة فى التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى « كنيسة الرسل »

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس فنستطيع أن ندركه من الملابسات التى رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التى ترتبت على هذا الحلول : —

(ا) الهيئة التى حل بها الروح القدس يوم الخمسين :

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة فى وسط مياه الأردن ليعطى قوة العماد بالماء والروح بل حلّ بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم . . . اذن فنحن أمام « عليقة مشتعلة بالنار » حسب الرمز ، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف ! !

اذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً ، بل الأمر جد خطير فهنا إشارة سرية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ، وماذا تكون الطبيعة الالهية إلا جسد المسيح السرى بالذات الذى سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والاتحاد به والثبوت فيه ! ! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبلوا الطبيعة الالهية بدون المسيح بل ولم يكن ممكنا أن يتقبلوا الروح القدس كأقنوم إلا على أساس الاتحاد بجسد المسيح ، فالجسد الالهى هو الطريق الوحيد الذى يوصلنا بالله ، ويوصل الله بنا « فاذا لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى

الأقداس بدم يسوع طريقا كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده »[1].

إذن غاية التجسد الألهى قد بلغت ذروتها يوم الخمسين حينما صار الكل فى المسيح « ملء الذى يملأ الكل »[2] فالجسد الالهى المعبر عنه « بملء اللاهوت جسديا »[3] صرنا منذ يوم الخمسين « مملوئين فيه »

لقد إتحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح . . . لقد صار وكمل فى العلية ما بدىء به فى بيت لحم . لقد ولد المسيح فى بيت لحم لتولد الكنيسة فى العلية . . .

(ب) النتائج التى ترتبت على حلول الروح يوم الخمسين

بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدد الآخرين ؛ بأى سلطان فعلت الكنيسة هذا ؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس ؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية « الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس »[4] . . .

إذن لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذى يعمد بالروح القدس ! ! بل المسيح نفسه هو صاحب السلطان فى التعميد . . . هو يعمِّد بالروح القدس . . .

وما هو العماد إلا الشركة مع الرب ، شركة اتحاد فعلى فى موته ودفنه وقيامته ؛ فمن الذى يستطيع أن يعطى سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها ! !

إذن فالكنيسة انطلقت تعمد لا بقوة مجردة هبطت على التلاميذ ، ولا كهبة خاصة من الروح القدس، ولا حتى بسلطان الروح القدس ؛ ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذى كان يعمِّد بالروح القدس بسلطانه الشخصى غير المنظور . . . وهو لا يزال يعمِّد حتى الآن . . . فيجب أن تفرق الكنيسة بين الكاهن

---

(١) عب ١٠ : ١٩ – (٢) افس ١ : ٢٣ – (٣) كو ٢ : ٩
(٤) يو ١ : ٣٣

الذى يخدم السر و بين المسيح مجرى السر بسلطانه الشخصى بتوسط الروح القدس .

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التى أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الخمسين واهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العماد الذى يتضمن إعطاء طبيعة جديدة مخلوقة فى المسيح ؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن الكنيسة قبلت يوم الخمسين شخص المسيح ، مسيح الأردن المسيح المعمِّد . وبذلك كملت شهادة الوحى التى أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح « وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » .

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى ويؤكده [ربما يدهشكم ان تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذى يعمد بالروح القدس » ثم يعود الكتاب يقول « مع أن يسوع لم يكن يعمد بل تلاميذه» فما هو هذا الأمر هل هناك نص خطأ وقع ثم عاد الوحى فصححه ؟ وحاشا ، أم أن كلا النصين صحيح وأن يسوع فعلا كان يعمِّد ولا يعمِّد ؟ الحقيقة هى أن المسيح كان يعمِّد بقوة سلطانه بينما كان تلاميذه يعمدون الجسد بأيديهم ، وهو لم يكف عن التعميد لأن تعميده كان تطهيراً — والتطهير لا يُرى — ، ويسوع لايزال يعمِّد حتى الآن ، لأنه طالما نحن نعتمد فيسوع هو المعمِّد .

[إن سلطان المعمودية الذى أخذه الرب «هو سيعمد بالروح القدس» لم يعطه لأى خادم بل احتفظ بسلطانه حتى أن كل الذين اعتمدوا من أيدى خدام (كهنة) لا يجوز ان ينسبوا معموديتهم للخدام بل للرب نفسه .

[إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أى إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين ، السلطان ذاته لم ينتقل إلى احد أما الخدمة فأعطاها للصالح وغير الصالح] (١).

لذلك نجد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ فى بيت المعمودية فوق جرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن

---

(١) Augustine, *Hom. Gosp. of John*, 1:33 (9) and 4:2 (3,4)

وعليه الروح القدس بشبه حمامة لتعبر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذى يعمِّد طبقاً لشهادة الوحى التى نطق بها يوحنا «الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس».

هذا هو سر العنصرة ، هذا هو الذى تم يوم الخمسين بين المسيح والكنيسة: المسيح إتحد بالكنيسة بجسده الالهى فصار للكنيسة طبيعة جديدة مخلوقة فى المسيح يسوع ؛ وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع الممسوح بالروح القدس ، مسيح الأردن ، خادم الجليل ، واعظ الناصرة ...

الكنيسة بعد أن حلّ المسيح فيها صارت تعمِّد مباشرة ، لم تكن هى التى صارت تعمِّد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً رأسها غير المنظور .

حينما مُسح المسيح بالروح فى الأردن ليباشر خدمة التعميد صار هو المعمِّد منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا وإلى نهاية كل الدهور . .

«دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . . فاذهبوا . . وعمدوهم . . وها أنا معكم »[(١)] .

أما الكنيسة فصارت تلد له بنين من بطنها التى هى المعمودية المقدسة بعد أن « تتمخض بهم »[(٢)] (تعظهم بكلمة الخلاص) إلى أن « يتصور المسيح فيهم» (أى يكمل إيمانهم بالمسيح) . . .

خامساً — فى إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة ، قوة يوم الخمسين ، عمل الروح القدس ، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة ، موعد الآب الذى تكلم عنه جميع الأنبياء ! !

الانسان الجديد الذى نلبسه فى المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الالهية فى طبيعتنا البشرية لتجديد خلقتها من الصورة الآدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الالهية . . .

نحن نخلع فى المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها ، لنلبس مسيحيتنا الجديدة

---

(١) مت ٢٨ : ١٧ و١٩ و٢٠ (٢) غلا ٤ : ١٩

برّها . . . » إذا كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً »[1] . . .

(ا) عمل الآب فى الانسان الجديد

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتبعين للنبوات ؛ فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق منوعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغير قلب الانسان وفكره وروحه ؛ ولكن لم يخص الله الأنبياء مثلما خص يوئيل النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة حتى دعى من دون جميع الأنبياء بنبي العنصرة .

تكلم يوئيل النبى عن مجيء اليوم الذى سيسكب فيه الله روحه على كل بشر ؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تدعى موعد الآب ، لأنها تختص بوعد الله إرسال روحه فى إرسالية عمومية للانسان « هذا ما قيل بيوئيل النبي : يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة انى اسكب من روحى على كل بشر . . . »[2] .

ويعود السيد المسيح يذكر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التى على ما يظن كان قد شرحها لهم وفسّرها بتدقيق ودعاها « موعد الآب » : « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى » .

وحدث لما حل الروح القدس واندهش الحاضرون لما رأوا وسمعوا من حوادث ذلك اليوم العظيم ، أن تذكر بطرس كلام المسيح عن هذه النبوة بالذات فقام وأخذ يشرح وعدالآب بيوئيل النبي «فوقف بطرس مع الأحدعشر ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود والساكنون فى أورشليم أجمعون . . . هذا ما قيل بيوئيل النبي»[3] وأخذ يشرح لهم موعدالآب كما سمعه من المسيح . . . واستطرد إلى أن أكّد أن الروح القدس الذى يرونه ويسمعونه هو من الآب أرسله المسيح حسب وعده» وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس

---

(١) ٢ كو ٥ : ١٧ (٢) اع ٢ : ١٦ (٣) اع ٢ : ١٦

من الآب ، سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه»[1].

لذلك فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التى أكملها يسوع فينا على صورته فى المعمودية بالروح القدس هى أصلاً وعد الآب .

وحتى هذه الصورة الجديدة التى أخذناها فى المعمودية التى هى صورة ربنا يسوع المسيح « فى البر والقداسة والحق » لو تعمقنا أصولها لوجدناها هى أيضاً من عمل الآب ؛ بل هى امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور . فنحن نقرأ لبولس الرسول فى الرسالة الثانية لكورنثيه «المسيح الذى هو صورة الله» ثم نعود فنقرأ له فى نفس الرسالة كيف نتحول نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة المجيدة عينها !! . . «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح»[2].

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرة كيف أن صورتنا تكون ممجدة أو أنها تزداد فى المجد على شبه صورة الابن ، أو بالحرى على شبه صورة بهاء مجد الله الآب . ولكن أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله «نخلقه على صورتنا» متكلماً بصيغة الجمع مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة ؟ ! ! أية صورة مجيدة هذه ! أنها أخفيت عن أعيننا بسبب الخطية . . .

ولكن نحن فى المعمودية نغتسل ونتطهر من وسخ الخطية ؛ الروح القدس يقدسنا ويجددنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا فى المجد والكرامة « إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد حسب صورة خالقه ! ! ! »[3].

ولكن الانسان الجديد لا يستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لبساً ، فهو يظل كامناً فينا نحسه ويحسه الآخرون فينا ولكن لا نراه . . . نحن نعيش فيه ولكن فى سر ، إلى أن يستعلن تماماً بمجيء الرب : «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر المسيح نكون مثله لأننا سنراه كما هو»[4]

---

(١) اع ٢ : ٣٣ (٢) ٢ كو ٣ : ١٨ (٣) كو ٣ : ٩و١٠
(٤) ١ يو ٣ : ٢

ولو عدنا إلى حادثة تجـلى الرب نقرأ هكذا « وإذا رجلان يتكلمان معـه وهما موسى وإيليـا اللذان ظهرا بمجد »[1] ، حيـنما نخلع هذا الجسد الترابى ، يظهر أيضاً مجد الداخل ، هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً . . . سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معـه فى المجد ! ! « لأنـكم قد مُتُّمْ وحياتـكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد »[2]

ويلذ لنا أن نعود بهذا المجـد إلى مصدره ومنبعه ؛ فالانسان الجديد المجيد الذى يخلقه فينا الرب يسوع ، هو فى الواقع استجـابة لمشيئة الله الآب « أن تلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله »[3]

والمجد الذى سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعـلان ومجيء الرب يسوع هو بعينه المجد الذى قام به يسوع من الأموات ؛ أما المجـد الذى قام به المسيح فهو بعينه مجد الآب ! ! .... « كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة »[4]

الآن كم هو جليل حقاً أن نـكتشف عمل الآب فى خلقة إنساننا الجديد ! ! أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما كما رأينا ، فهو إعادة صورة مجده فى جبلتنا حسب سابق حكمته فى خلقتنا لاعدادنا للحياة «معه فى المجد» .

(ب) عمل الابن فى الانسان الجديد :

١ — أثر موت المسيح فى حياتنا

إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض أولا وتموت ؛ فلا ينتظر أن نحصد قمحاً جديداً . . . .

فان كان لنا أن نفتخر بانساننا الجـديد الذى نناله بالروح القدس فى المعمودية فما ذلك الا على أساس القوة التى حصلنا عليها بموت الرب والتى بمقتضاها استطعنا أن نخلع العتيق ! ! . . هذه القوة اللازمة لخلع العتيق تساوى فى عمقها

---

(١) لو ٩ : ٣٠ (٢) كو ٣ : ٣ (٣) أفس ٤ : ٢٢
(٤) رو ٦ : ٤

اللاهوتى القـوة اللازمة لانبعاث الانسان الجديد ! ! ، هذه الحقيقة تتضح لنـا أكثر حينما نعلم أنه لـكى نحيا ولـكى نصير خليقة جديدة،مات الرب على الصليب!!

ونحن نعلم أن « الموت الذى ماته (الرب) قد ماته للخطية » .(١) إذن فموت الرب رفع عنا الخطية التى هى سبب موتنا . . . وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا . . . « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح »(٢).

فى المعمودية نحن نشترك فى موت الرب ، والاشتراك فى موت الرب هو نفسه اشتراك فى حياته بلا شك . . . .

٢ — المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية :

قوة موت الرب لا تزال تهبنا سلطة أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية ، المعمودية لاتلغى الخطية ولـكن الروح القدس يهبنا قوة ضد الخطيئة تستمر معنا كل أيام حياتنا . . .

نحن نجحد الشيطـان والخطية فى المعمودية ، وبعد المعمودية نجاهد ضدها « احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية . . . لا تملكن الخطية فى جسدكم المـائت لـكى تطيعوها فى شهواته . . . فان الخطية لن تسودكم » .(٣)

فى المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح الهاً ، نحن نجحد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح الهاً . . .

المسيح فى المعمـودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النجسة فى الجليل أو فى الناصرة ، . . . سلطانه لا يزال بيده . . .

المسيح فى المعمودية يمـارس خدمته الأولى ، يشفى كل مرض وكل سقم فى الـكنيسة ويطرد الأرواح النجسة . . .

المسيح لما اعتمد فى الأردن وحل عليه الروح القدس ، أصعده الروح إلى البرية ليجرب من ابليس ؛ نحن نأخذ المسيح فى المعمودية وفى الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد الله . . . ولـكن بعد ذلك يصعدنا الروح إلى برية العالم لنجرب من ابليس ! . . .

---

(١) رو٦ : ١٠ (٢) افس ٢ : ٥ (٣) رو ٦ : ١١و١٢و١٤

نحن لانزال بعد المعمودية نكمل قوة المعمودية ، التوبة هى قوة المعمودية! فى المعمودية نأخذ صورة المسيح فى انساننا الجديد ، وبعــد المعمودية تنمى حواس هذه الطبيعة الجديدة ، وندربها فى البر والقداسة والحق كما يحق « للانسان الجديد المخلوق حسب الله » . مركز المسيح بالنسبة للانسان الجديد هو الأصل الذى تنحدر منه الصورة ؛ وهو مجد هذه الصــورة ؛ والطبيعة التى تستمد منها صفاتها ، والقوة التى تتخذ منها كيانها الدائم ووجودها فى الحاضر والمستقبل .

الانسان الجديد المخلوق فى المسيح يسوع حسب الله فى البر وقداسة الحق سيظل فى صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان ؛ بعد المعمودية . . .

ابليس ترك المسيح بعد تجربة الجبــل إلى حين ، . . . ابليس عاد إلى المسيح ليجربه فينـا ، المسيح فينا لا يزال يواجه العدو هو يحارب عنا ولـكنه لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا . . .

صراعنا مع العدو مضمون النصرة إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا « ناظرين إلى رئيس الايمان ومكمله يسوع » [١]

هذا الصراع الدائم « من أجلك نمات كل النهار »[٢] هو صراع لذيذ سمــاه بولس « الجهاد الحسن »[٣] ، بولس أكمله بالايمان وعبر . . . سوف نرى فى بعض الـكلمات القليلة القادمة حينما نتـكلم عن المسحة المقدسة ، أن صورة الانسان الجديد مختومة بختم المسيح والختم يحمل صورة صاحبه .

نحن معتبرون ملـكا ليسوع المسيح كغنمة مشتراه لتقدم ذبيحة طاهرة أو كعبد مشترى لخدمة سيده أو كجندى صالح يحارب حروب الرب . . .

ولـكن الختم لايحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميته بل صورة حية ناطقة متحركة « نحيا ونتحرك ونوجد به »[٤] ؛ ختم المسيح هو صلة حية نستمد منها كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية ، نحن ننمو فى المسيح ، وليس لنمونا نهاية إلى أن نبلغ « إلى قياس قامة ملء المسيح »[٥] ، إلى أن نصل إلى حدود صورة المسيح فينا عينها « من مجد إلى مجد كما من الرب الروح »[٦] .

---

(١) عب ١٢ : ٢ (٢) رو ٨ : ٣٦ (٣) ٢ تى ٤ : ٧
(٤) اع ١٨ : ٢٨ (٥) افس ٤ : ١٣ (٦) ٢ كو ٣ : ١٨

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها عن سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في « حروف الجر » التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليعبر بها عن صلتنا السرية واتحادنا الخفي بيسوع المسيح الذي نستمد منه كياننا المسيحي ووجودنا :

دفنا معه ، متحدين معه بشبه موته ، إنساننا العتيق صلب معه ، متنا مع المسيح ، سنحيا أيضاً معه ، أنتم أحياء لله بالمسيح ، لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح ، اختارنا الله فيه قبل تأسيس العالم ، الله عيننا للتبني بيسوع المسيح ، سبق رجاؤنا في المسيح ، أحيانا مع المسيح ، أقامنا معه ، أجلسنا معه في السمويات في المسيح . . .

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا بالمسيح أو مع المسيح أو في المسيح هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر ، لايستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا ، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها ، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه ؛ إسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا :

« لا أحيا أنا بل المسيح يحيا في » (١)

« أما نحن فلنا فكر المسيح » (٢)

« ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم » (٣)

« لتمتلئوا إلى كل ملء الله » (٤)

« لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه » (٥)

« لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » (٦)

بماذا نستطيع أن نعلق على هذه المشاعر والأحاسيس الالهية الا أن نقول آمين . . .

---

(١) غلا ٢ : ١٩ (٢) ١ كو ٢ : ١٦ (٣) أفس ٣ : ١٧
(٤) افس ٣ : ١٩ (٥) افس ٥ : ٣٠ (٦) غلا ٣ : ٢٧

وليس بولس فقط بل وآباء الكنيسة عاشوا فى هذه الحقائق ، لبسوا المسيح لبساً وتغيروا إلى تلك الصورة عينها !!

اسمع القديس اغريغوريوس النزينزى يقول : [إن إجزاءنا التى لاتتغير إلى هذا الشكل تبقى عديمة الشفاء ...](١)

ويشترك معه أيضاً القديس اغريغوريوس النيسى [نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب ؛ وكل من يدركه يصير مثله](٢)

ويشترك مع الاثنين القديس يوحنا ذهبى الفم [الذى يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط بل أنه يلبس المسيح أيضاً ، ولا نأخذ هذا على المعنى الأدبى كأنه عمل من أعمال المحبة ، بل الأمر حقيقة ، فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح واشتراكنا فى الألوهة أمراً واقعاً] (٣)

وبولس كان حقاً يعيش فى المسيح لأن المسيح كان حياته !! فهو لم يقل أن المسيح أحياه فقط بل قال «لى الحياة هى المسيح» (٤) بل قال أيضاً بصراحة ووضوح «متى أظهر المسيح حياتنا» (٥) فان كان بولس الرسول يحيا فى المسيح؛ أليس هو شريك اذن فى الحياة الأبدية مع الله ؟ «هبة الله هى حياة أبدية بالمسيح» (٦)

«إننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ، ووارثون مع المسيح» (٧) ويوحنا الرسول يدعم المعنى ويوضح كليّة صلتنا السرية بالمسيح باعتبار المسيح هو نفسه الحياة ، الحياة الأبدية بقوله : « الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا . . . شركتنا هى مع الآب ومع ابنه» (٨).

---

(١) *Letter to Cledonius*

(٢) *Antirrh. Adv. Apollin*, 53

(٣) *Orthodox Spt. P.* 58

(٤) فى ١ : ٢١

(٥) كو ٣ : ٤

(٦) رو ٦ : ٢٣

(٧) رو ٨ : ١٧

(٨) ١ يو ١ : ٢و٣

أما حواس الانسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تجديدها فقط من المسيح ، بل أنها تعمل بالمسيح ، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها ، فهى حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا « يسوع المسيح الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءاً »(١)

إذن تأمل معى أيها القارىء فى قيمة التجسد الالهى وفى قيمة معمودية الرب وفى قيمة موته ، وفى قيمة قيامته ، وما آلت إليه كل هذه من نحونا . . . حتى وكأنما لم تحدث حركة ما فى السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم الخمسين إلاّ وكانت تعمل لبناء الانسان الجديد فى المسيح بالروح القدس . . .

كم هى عميقة ومتسعة وعجيبة حدود خلاصنا ! وكم هى سهلة أيضاً ! !

« كيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟ »(٢) .

(ج) عمل الروح القدس فى الانسان الجديد

أولا — الروح القدس والماء : أو الميلاد الثانى .

نحن أمام قضية نيقوديموس : كيف يولد الانسان ثانية ؟

نترك هنا الكلام للقديس يوحنا ذهبى الفم ليرد على هذا السؤال :

[وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض ، فانها تتحول حالاً إلى ذهب نقى ؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس فى المعمودية فى الذين يغسلهم ؛ إذ يحولهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين ، فحينما يحل الروح القدس « كالنار » فى نفوسنا يحرق أولا « صورة الترابى » ليعطى « صورة السمائى » فتصير كعملة جديدة بهية متلألئة خارجة من أفران الصهر .

أما كيف يخلق الانسان جديداً من الماء بواسطة الروح ، فبنفس القوة والسر اللذين بهما خلق الانسان أولا من تراب ! ! وكما تقوّى التراب وتشدد

---

(١) ١كو ١ : ٣٠ (٢) عب ٢ : ٣٠

بارادة الله وصار أعضاء وأجهزة جسدية كاملة ، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صانعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل .

إذن فلا تشك فى عمل الماء والروح فى الانسان الجديد بسبب أنك لا ترى ؛ فأنت أيضاً لا ترى نفسك التى فيك] (١)

ويعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثانى أيضاً :

[ليس بأم وأب ، ليس باضطجاع بشر ولا بآلام المخاض نولد ثانية ، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة ، وفى الماء نشكل ومن الماء نولد سرّاً كما من الرحم . . . الرحم يحتاج إلى زمان كثير ليتشكل فيه الجسد أما الماء والروح فنهما تتشكل حياة الروح فى لحظة فى طرفة عين ! ! « المولود من الجسد جسد والمولود من الروح روح هو »] (٢)

(أ) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموحدها

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده ؛ ففى المعمودية ممن نولد وعلى أى شكل يكون إنساننا الجديد ؟

الروح القدس هو الذى يصنع هيكل إنساننا الجديد ، يصنعه من جسد المسيح السرى الذى يملأ السماء والأرض... المسيح دخل العليّه والأبواب مغلقة دخلها بجسده بلحمه وعظامه ، ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم جسده ولمسوه ؛ لحم المسيح وعظامه يمكن أن ترى وتلمس ويمكن أن لاترى ولاتلمس .

نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها «نحن من لحمه وعظامه» !!

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور ، وبعد أن يخلقه يملأه «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (٣) الروح القدس لايخلق هيكلنا الجديد جزافاً ولكن حسب صورة ابن الله ؛ ليس من جهة منظر الجسد ولكن من جهة سمات الروح فى كل شىء وبالأخص فى الوداعة والطهارة

---

(١) ST Chrysostom Hom. on G. of John, Hom X,
(٢) ST Chrysostom Hom. on G. of John, Hom XXV
(٣) ١ كو ٣ : ٢١

والحق «تلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق»(١) الروح القدس يقدس طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه»(٢)

أما القديس أغسطينوس فلا يكتفى بمجرد التشابه ، بل يرى أن خلقتنا الجديدة هى امتداد حقيقى فى شخص المسيح [لنفرح ونسر ونقدم الشكر لالهنا لأننا لم نصر فقط مسيحيين ، بل صرنا مسيحاً ، أتفهمون هذا أيها الأخوة وتدركون مقدار النعمة التى حلت علينا (بالمعمودية) ، إعجبوا وسُروا جدا لقد صرنا مسيحاً] (٣)

إذن فعل الروح القدس الأساسى فى انساننا الجديد هو إعطائنا كل ما للمسيح لنصير مناسبين للاتحاد الدائم فيه .

لذلك بعد أن يلدنا الروح القدس فى المعمودية ، ويشكلنا بطبيعة ابن الله ، لايسعه الا أن « يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » : « ورثة مع المسيح » إذ أنه لايرانا ذوات مستقلة عن المسيح ، بل يرانا قائمين فى وحدة مع المسيح ؛ يرى المسيح فينا ويرانا فى المسيح . . .

والقديس اكليمندس الاسكندرى يرى أن العامل الرئيسى فى الابقاء على هذه الوحدة المتكاملة فى المسيح هو الروح القدس .

« ليس بعد بربرى أو يهودى أو يونانى ولا بعد رجل وامرأة بل الانسان الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس » (٤)

والقديس إيريناوس يعبر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتى معروف فى كل كتاباته مضمونه : إن المسيح استطاع بالروح القدس أن يمركز البشرية فى جسده وفى شخصه فصار المسيح [رأساً وجسماً وشخصاً للانسان الجديد المخلوق منه](٥)

---

(١) افس ٤ : ٢٢
(٢) رو ٨ : ٢٩
(٣) Augustine Hom on Gosp. of John Tract XXI, p 140
(٤) Source Chretienne II 2nd ed Paris p 180
(٥) P. G. VIII, 1082

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدرة الهية فائقة أن يجمع المسيح المتضادات والمتخالفات ويوحدها بالروح القدس فى جسده [مامعنى هــذا ؟ معنــاه أن المسيح جعل الــكل ، وجمع أشتات المتخالفات فى جسد واحد][1]

ونحن نري مقارنة ذات اتجــاه خلق وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثانى (المسيح) : فآدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه ،وانقسمت بواسطته البشرية وتعــددت وتلونت وتخــالفت إلى اشــكال وأجنــاس وألسنة وأمم . . . وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان .

وجاء آدم الثانى المسيح الرب . وجمــع البشرية مرة أخرى فى شخصه ، وصالحها فى طبيعته ووحدها فى وحدته ؛ وذلك بسبب بره وقداستــه بتوسط الروح القدس .

والقــديس كيرلس الاسكندرى عمــود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولا جديدا يجيء فى موضعه ، حتى لايتسرب إلىالذهن أن تمركز البشرية فى شخص المسيح الذى ينادى به ايريناوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها فى اجتماعها وتوحدها بشخص المسيح فقال :

[إن الــكنيسة التى هى جسم البشرية الجديد ، ولو أنها ذات طبيعة واحدة فى المسيح إلا أنها تشمل فى تــكوينها أشخاصاً بشريينمتميزين منفردين متعددى الفضائل ، غير أنهم متأصلون جميعــا فى جسد المسيح الواحــد يتغذون من ذات الطعام الواحد][2] .

(ب) الروح القدس عامل مباشر فى تكوين الشخصية الجديدة :

الروح القدس حينما يملأ هيكلنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات جديدة ؛ هذه المواهب هى التى توجه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص . . .

ليست موهبة كالأخرى فمع أن الروح واحد لــكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة . . . « فلواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام عــلم بحسب

---

(١) Hom 61, P.G. LIX 361-2

(٢) In Ioannem XI, II, P-G LXXIV 560

الروح الواحد ، ولآخر ايمان بالروح الواحد ، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ، ولآخر عمل قوات ، ولآخر نبوة ، ولآخر تمييز أرواح ، ولآخر أنواع ألسنة ، ولآخر ترجمة ألسنة ؛ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء »(١)

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي فى الشخصيات الموهوبة بالروح القدس إلا انها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح !! فنحن من ناحية نجد الروح القدس يوحّد البشرية كلها فى جسم واحد فيزيل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية ، فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عجنت من جديد عجينة واحدة متجانسة ؛ وذلك بفعل الاتحاد فى جسد المسيح السرى .

ومن ناحية أخرى نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متمايزة ، بأن يهب لشخص ما لايهبه لآخر ، ويقسم الأعمال تبعاً للمواهب ؛ وإنما بحكمة ومقدار حتى يصير من هذه المتمايزات وحدة أيضا ؛ وحدة عمل وبنيان تهدف كلها لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السرى أى الكنيسة ...

ثانيا — الروح القدس والميرون

(ا) مسحة الروح القدس :

طبعاً يعرف القارىء أن الميلاد الجديد للانسان الذى يقال له عند العامة «التنصير» يتم بواسطة إجراء سر المعمودية ، يتلوه سر مسحة الميرون ، غير أن سر مسحة الميرون يلزم حسب الطقس الكنسى أن يجرى للمعتمد مباشرة بعد صعوده من الماء .

والروح القدس عامل أساسى فى كلا السرين ؛ فى الأول يلد الانسان ، وفى الثانى يحل على المعتمد ليملأه — فى الأول يشترك المعتمد فى جسد المسيح السرى ، وفى الثانى يشترك الممسوح فى مسحة المسيح على الأردن !! والروح

(١) ١ كو ١٢ : ٨ — ١١

القدس واسطة الاتحاد فى السر الأول بالتطهير وفى السر الثانى بالتقديس ومنح المواهب الروحية للنمو .

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثيل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن هـذا من جهة الطقس ؛ أما من جهة الأثر الفعلى فالروح القـدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا شركاء فى مسحة المسيح أو بالحرى يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا ! !

فى هذا المعنى يتكلم القديس كيرلس الأورشليمى بكلمات إلهية قائلاً : [قد صرتم مسحاء إذ قبلتم الروح القدس ، وكل شىء قد صار عليكم بحسب الرسم إذ أنكم رسوم المسيح ؛ فانه لما استحم فى نهر الأردن وصعد منه ، انحدر الروح القـدس عليه جوهرياً ؛ وإستراح المثيل على مثيله ؛ ونحن أيضاً بعـد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة ، منحت لنا المسحة رسمياً كما مسح بهـا المسيح أعنى الروح القدس ... ولكن أنظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً لأنه كما أن خبز الشكر بعـد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء ، بل هو جسد المسيح . هكذا هـذا الميرون المقدس ، لا يعد ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعـد الدعاء ، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل الوهيته فتمسح به كل جبهتك وسائر حواسك ، والمسيح يكون هو الذى رسم . فان الجسم يدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس تقدس معاً بالروح القدس المحيي .] (١)

الروح القدس ظهر فى عماد المسيح بهيأة حمامة ؛ الحمامة فى الرمز الانجيلى تشير إلى رسالة الحياة الجديدة كما حملتها حمـامة الفلك أيام الطوفان حينما جاءت بغصن الزيتون فى فمهـا بعد انتهـاء الفيضان علامـة على ظهور الحيـاة الجديدة على الأرض .

الحمـامة التى استقرت على المسيح كانت إشـارة إلى انتهاء عهـد الموت ، موت طوفان الروح وبدء حياة جديدة بالروح القدس . . . فى هذا المعنى يقول القديس افرآم السريانى : [إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس الـكنيسة فى المياه ، وأن يرتد أعضـاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس ،

(١) St. Cyril of Jerusalem On Mysteries Lecs. XIX.

وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هى سر الخلاص] .

الميرون الذى تستخدمه الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالمرموز إليه، وتحقيق اشارات ونبوات الروح عمليا، فأوراق الزيتون التى حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض، استخرجت الكنيسة من ثمرتها زيت المسحة وهيأته للحمامة غير المنظورة أى الروح القدس، لكى يعطى بها حياة جديدة بالروح . . .

كلمة المسحة تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح . . الآب مسح ابنه بالروح القدس بعد العماد؛ كذلك يعمل الروح القدس فى سر المسحة؛ إنه يشركنا فى مسحة المسيح كقول القديس كبريانوس : [من اعتمد ينبغى أن يمسح أيضا لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحا لله ويأخذ نعمة المسيح]

الابن أرسل الروح القدس من عند الآب كوعد الآب !

الآب مسحنا بالروح القدس لنكون أعضاء فى جسد إبنه !

سر المسحة يثبتنا فى الثالوث الأقدس . . . إنه سر التثبيت :

« ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا »[1] .

(ب) **ختم الروح القدس** : أو الختانة الروحية، جلجال العهد الجديد

أول من تكلم عن فعل الروح القدس فى الانسان كختم هو بولس الرسول؛ وأول فكرة الختم كانت مرادفة للختان الذى أجراه ابرهيم فى لحم غرلته كأمر الرب له، كعلامة أو شهادة دائمة على إيمان إبراهيم بالله .

« وأخذ علامة الختان ختماً لبرّ الايمان »[2] .

ابرهيم أخذ ختم إيمانه فى الجسد بختانة عضو التناسل الذى هو عضو حياة

---

(١) ١ كو ١ : ٢١ و٢٢ (٢) رو ٤ : ١١

الجسد . وكان هـذا رمزاً لختم الايمان الذى سيكون بختانة القلب فى الداخل الذى منه مخارج الحياة الروحية ! !

« لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح هو الختان » [(١)] .

ابرهيم آمن بالله الذى يحيي الموتى فحسب إيمانه براً ... « ولكن لم يكتب من أجل ابرهيم وحده أنه حسب له ، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع من الأموات . الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا » [(٢)]

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً ؛ نحن نعتمد لنبرهن على إيماننا عملياً فنشترك معه فى الموت والقيامة ...

إن معموديتنا إذن هى شهادة إيماننـا ... لذلك صارت المسحة بالميرون المقـدس بعدها عبارة عن ختم سرى بالروح القدس ، ختانة روحية فى القلب ، علامة أبدية غير منظورة أننا « قد تبررنا بالايمان » !!

هـذا الختم نأخذه الآن فى هـذا الدهر عربون ميراثنا فى الحياة الأبدية « الذى ختمنا أيضـاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » [(٣)] هـذا الختم عينه محفوظ لنا إلى اليوم الأخير « لا تحـزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفـداء » [(٤)]

وسيظل هذا الختم العلامة التى تميز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليحفظوا من الضربات الأخيرة على الأرض . . . « وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا شيئاً اخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم » [(٥)]

---

(١) رو ٢ : ٢٨و٢٩

(٢) ور ٤ : ٢٠ـ٢٥

(٣) ٢ كو ١ : ٢١و٢٢

(٤) افس ٤ : ٣٠

(٥) رؤ ٩ : ٤

صورة الختم :

يقول القديس كيرلس الأورشليمي [لا تنسوا الروح القدس فى أوقات استنارتكم لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه] (١)

ما هذا الختم يا ترى ؟

لو تتبعنا كلمة ختم وهى ترجمة ΣΦΡΑΓΙΣ [Sphragis - CφΡΑΓΙC] فى اللغة اليونانية — وهى اللغة التى كتب بها بولس الرسول رسائله ؛ نجدها — خصوصاً من الناحية الطقسية الفنية — تعنى علامة خاصة تصنع على الجبهة ، إما للحيوانات الطاهرة المعدة للذبيحة الالهية ، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين .

هذه الكلمة عينها استخدمها بولس الرسول بمعنى «سِمة» إنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع »(٢)

وهكذا نستطيع أن نتتبع المعنى الذى كان يقصده من قوله : بولس عبد ليسوع المسيح — وقد حسبنا مثل غنم للذبح — واشترك انت فى احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح .

إذن فالختم الذى يطبعه علينا الروح القدس فى المسحة لابد أنه يحمل اسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا ؛ ولا نعود بعد ذلك احراراً لأنفسنا بل عبيداً للذى اشترانا بدمه... «أنتم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن »(٣)

وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا ؛ الا مصلوباً أو متألماً ، أو على الأقل مقيداً ومهاناً يحاكم أمام هيرودس أو بيلاطس !!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح فى طقس المسحة نصير أحد ثلاثة : إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده فى موكب نصرته ؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن ؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب !

---

(١) Cat XVII, 35, P.G. XXXIII 1009,

(٢) غلا ٦ : ١٧ (٣) ١ كو ٦ : ١٩ — ٢٠

قوة الختم :

ليس الختم هو مجرد صورة بل هو فعل روحى يتغلغل كل كيان الانسان الجديد حتى أعماقه «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ » (١)

هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشرى غير الصالحة، وكل الأعمال الميتة « يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (٢)

والكاهن حينما يقوم باجراء طقس المسحة ويرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس وعددها ٣٦ رشماً، هو فى الواقع يختم الأعضاء الداخلية أيضاً التى للانسان الجديد؛ هو يقدس الحواس جميعاً؛ هو يقدس كل عضو* حتى يصير الانسان كله « خليقة جديدة فى المسيح »

وفى هذا المعنى نجد للقديس كيرلس الأورشليمى كلمات معزية : [هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شيء إذا لبثت فيكم، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس] (٣)

ختانة الأعضاء :

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون يبدأ من منتصف الرأس . . . وإنى لمتعجب ومندهش من حكمة الكنيسة فى ذلك، فرأس الانسان يحوى المخ حيث تتجمع مراكز التفكير والتمييز والحواس جميعاً !!

رأس الانسان هو حصن العقل أول جزء اقتحمه الشيطان، وأول عضو دخلته الخطية ... عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر . . .

(*) إن الخطية التى تقع على الكاهن الذى لايدقق فى رشم الأعضاء بالميرون أو يختصرها أو يهملها جملة مكتفياً بالقاء جزء من الميرون فى ماء المعمودية؛ هى خطية عظيمة تحمل فى معناها الأزدراء بقيمة عمل الروح القدس فى الرشومات؛ واحتقار سر المسحة وأثره، وهذا قد انعكس على المعمدين وخصوصاً أولاد هذا الجيل فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاءهم بالشهوه . . .

(١) عب ٤ : ١٢ (٢) عب ٩ : ١٤

(٣) St. Cyril of Jerusalem On Mysteries 3 : 7

عقل الانسان كان حصناً الهياً منيراً ، مركز المعرفة الذى يستمد به معرفة الحق الالهى كاملا دون انقسام أو بلبلة .. ولكن بعد أن اشتهى الانسان المعرفة المستقلة ، وأن يكون كالله عارفاً ، عارفاً بشخصه وبمقدرته ، وهام وراء الاستقلال الذاتى ، وحوّل مركز تقبله للحقائق من الله إلى ذاته ، تعرض فى الحال انقص فى المعرفة لأنه أصبح يستمدها من خبرته الشخصية . . . وما الخطأ أو ما الخطية فى أصولها إلاّ معرفة ناقصة !!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذى يقتحمه الشيطان ويصنع فيه كل خطية وكل أثم وكل نجاسة !!..

أنظر أنت نفسك كيف تدخلك الخطية ، وبأى مكان فيك تبدأ عملها ! إنه عقلك ... فاذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار استولت على جسمك كله ، واستعبدت جميع أعضائك ، وسخرت كل إرادتك وقوتك وإمكانياتك .

لذلك فالروح القدس بالمثل أول ما يقدس يقدس العقل ؛ يختنه ختانة روحية يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيله ، بل يجاهد بكلمة المسيح ويغلب بسيف الروح ...

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضاءه « كآلات اثم للخطية » وكان الانسان كله « عبداً للنجاسة » . . . كذلك حينما يملك الروح القدس عقل الانسان ويقدسه يصيرّه « عبدا للبر » ويجعل أعضاءه تخدم « آلات بر للقداسة »

وكما التهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعا له ، كذلك يلتهب العقل بحب الله والقداسة فتشتعل الأعضاء كما بنار الله فيشتهى الانسان فى هذه اللحظات لو يصير ذبيحة . . .

إن العقل هو حصن الانسان الالهى الذى خرّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات ؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدده وختمه جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى ؛ بل قوياً جباراً هو الحق ! !

الحق هو حارس العقل ، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشرى ؛ الخطية استعبدت الانسان لما ملكت عقله . . . أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية . . . « تعرفون الحق والحق يحرركم » ! ! [1]

---

(١) يو ٨ : ٣٢

يستمر الكاهن فى رشم الأعضاء ، فيمر على وجه المعتمد ويرشم حواسه بمثال الصليب : الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى مع الأذن اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات صليبا واحداً على كل الوجه ! !

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً ، لا يترك عضواً أو مفصلاً أو جزءاً فى الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح . . .

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غلفتها ، « وبه أيضاً ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية » (١) ويعطيها ختم الروح للشهادة وصورة المسيح .

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح ، بل كما يقول بولس الرسول تصير أعضاء المسيح ، لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنسانا ما يعود ويستخدم هذه الأعضاء للنجاسة فيقول « أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية » ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح » (٢)

حراسة الختم :

ولكن هل ختم الروح القدس الذى نناله بالميرون لا يتلوث قط ؟ نفهم من قول للقديس أثناسيوس أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لامفر منه [إن العقل هو مرآة الله الكلمة ، ما أسهل أن تتلوث هذه المرآة] (٣)

ولكن أمر تجديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضا فى سر الاعتراف والتوبة .

فالقديس أثناسيوس يعود ويقول [كما أن المعمَّد يستنير بنعمة الروح القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح] (٤)

وكذلك القديس أغسطينوس يقول فى ذات المعنى : [إن الخطية التى يفعلها

---

(١) كو ٢ : ١١
(٢) ١ كو ٦ : ١٥
(٣) Orth Spt SS Alban & Serg on Baptism.
(٤) Orth Spt. SS Alban & Serg. on Baptism.

موعوظ تغسل بالمعمودية ، وإذا فعلها معتمد تترك بالتوبة] (١)

فالتوبة هى ضابطة المعمودية ، وحارسة أختام المسحة وهى الحافظة على حقوق المعتمد والضامنة لبقاء وعد الميراث ! ! .

المختومون : الجلجال الجديد

حينما عبر يشوع الأردن مع بنى اسرائيل تلقوا أمراً الهياً بعدم التحرك والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الشرقية، إلى أن يختتنوا جميعاً فى لحم غرلتهم . « وصعد الشعب من الأردن فى اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا فى الجلجال وتخم أريحا الشرقى ، فى ذلك الوقت قال الرب ليشوع إصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بنى اسرائيل » (٢).

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل فى الأردن التزموا بالختان مباشرة اعداداً للدخول بهم إلى كنعان ارض فلسطين أرض الوعد ! ! وكل من وجد غير مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب فى كنعان .

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه . . . فلم تكن كنعان أرض الراحة الجسدية الا رمزاً لكنعان السمائية الراحة العليا . . . ولم يكن الأردن الا تعبيراً عن المعمودية دائماً وعبوره يرمز إلى اجتياز الموت الذى جازه الرب قديما بالتابوت وحديثا بجسده فى القبر . . . وما شعب اسرائيل الا رمز لباكورة المفديين الذين عبروا مع الرب فى الأردن قديما وفى جرن المعمودية حديثا . . ولم تكن الختانة فى الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة فى لحم الغلفة إلا رمزاً للختانة الروحية فى القلب التى تجيز لحامليها الدخول إلى الراحة الأبدية وحق الامتلاك والميراث مع المسيح فى المجد . . .

«وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعون ألفاً من كل سبط...و نظرت واذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده . . . من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة » (٣)

. . .« وهم سينظرون وجهه وإسمه على جباههم » (٤)

يا أخوة كلما عيدتم للعنصرة تذكروا بهذه الأمور؟

---

(١) كتاب الاسرار السبعة ص١٢٩ لحبيب جرجس (٢) يش ٤ : ١٩ ؟ ٥ : ٢

(٣) رؤ ٧ : ٤ ، ٩ (٤) رؤ ٢٢ : ٤